Dr.. Siham Jamil Jassim د. سهام جميل جاسم

Civilization / systems / third grade مادة حضارة/ نظم/الصف الثالث

الحياة الاجتماعية

مكونات المجتمع:

لقد كان النظام الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام يستند اساسا الى القبيلة ، وهي مجموعة من الناس ينتمون ، او يعتقد انهم ينتمون الى اصل واحد مشترك، ويسكنون في العادة منطقة واحدة وينتقلون سوية .وتختلف القبائل من حيث عدد افرادها ، فبعضها صغير جدا ، والبعض الاخر كبيرة، وهذه الاخيرة غالبا ما تقسم الى اقسام تدعى العشيرة والفخذ والفصيلة والرهط والحي . ولكن هذه الاقسام يصعب تحديدها بدقة.

وكانت القبيلة تتكون من العرب الصليبة والحلفاء والعبيد .فالعرب الصليبة هم الذين ينحدرون من اصل واحد مشترك وكانوا يعتبرون انفسهم متساوين ، نظريا على الاقل ، وان اختلفوا في المروءة والشرف. اما الحلفاء فهم ليسوا منحدرين من الاصل المشترك للقبيلة ولا يرتبطون مها برابطة الدم ، ولكنهم لجأوا الى القبيلة واحتموا بها .وقد يكون الحليف فردا او قبيلة . ويكفي للفرد ان يدخل خيمة رجل او يمسك حبل الخيمة . وكان على رجل القبيلة ان يحميه ويدافع عنه ،ولكن يجوز له كذلك ان يفسخ الجوار متى شاء على ان يعلن ذلك ويعطي الدخيل مهلة لتدبير امره. اما العبيد فكان اغلبهم من اسرى الحرب ، كما ان بعضهم كان يأتي عن طريق الشراء او الولادة او الدين ،وكانوا يعملون في الاعمال اليدوية ولا يشتركون في الحروب . ولما كان الرق الناتج عن الاسر له حالة خاصة ،لذلك فأن معاملة اسرى الحرب كانت حسنة كما انهم يفتدون ويبادلون اذ ان من العار على القبيلة ان تترك افرادها المأسورين ارقاء عند القبائل الاخرى.

وقد كان المجتمع البدوي يتبع نظام الابوة ،فكان للرجل السيادة والسلطة على البيت ، ورغم هذا فقد كان للمرأة مكانة كبيرة . فبالإضافة الى انجاب الاولاد واعمال البيت كانت تضمد الجرحى في الحروب وتزود المقاتلين بالزاد والماء وكانت حمايتها والدفاع عنها من المروءة ولا يجوز رفض من يستجير بها. ولكنها من ناحية اخرى كانت تفرض على الرجل اعباء كإعالتها والمحافظة عليها من الاعتداء مما ادى بالبعض الى

عدم الارتياح لولادتها، وقد اشار القران الكريم الى ذلك. وقد دفع هذا البعض الى ان يئد البنات تخلصا مما قد يلقينه عليه من مسؤوليات .

هذا ولم تكن عادة الوأد تمارس بين القبائل العربية جميعا بل اقتصرت عل بعض البطون من تميم بصورة خاصة وقد كان لهذه العادة اسباب بعضها اقتصادية وبعضها الاخر اجتماعية املتها ظروف الحياة البدوية آنذاك وقد اشار القران الكريم الى ذلك بقوله تعالى "**واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه بالتراب** "وقوله تعالى "**ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم**" **وقوله تعالى**" **ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم**" وقد ابطل الاسلام هذه العادة وندد بها فقد ورد في القران الكريم "**واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت**". على ان الوأد ليس دليلا على عدم احترام العرب للمرأة فقد كان بين الالهة بنات ، وكان للمرأة حقوق كثيرة ، فلها حق التملك ، كما انها كانت تستشار في الغالب عند زواجها ، ولبعضهن حق الطلاق .ومع ذلك فقد كان للرجل حق الزواج بأكثر من واحدة وربما كان السبب في ذلك الرغبة في تكثير عدد الاولاد كما كان للرجل الحق في امتلاك ما شاء من الاماء، ولكنهن اقل مكانة من المرأة الحرة.

اما في صدر الاسلام والعصر الاموي فكان المجتمع يتكون من العناصر التالية:

١ – العرب

وكانوا في الجزيرة العربية واطرافها وهم سكان الجزيرة العربية : والوطن العربي اضافة الى رجال الجيش والقبائل الذين انتقلوا من حركة الفتوح وحروب التحرير خارج حدود الارض العربية وقد زاد الاسلام من عزة العرب وخلق منهم امة واحدة وكانوا يتميزون بسبقهم في الاسلام وخدمتهم له ، وقد ظلت السيادة فيهم طوال عصر الراشدين (صدر الاسلام) والعصر الاموي ، ولكن عندما كثر دخول الاعاجم في الاسلام خشيت الدولة ، وخاصة في العصر الاموي ، على العرب من الضياع والاندماج في العناصر الاجنبية فقدموا العرب ولم يستعملوا الموالي في وظائف الدولة على نطاق واسع وابتعدوا عن الزواج بغير العربيات . وقد حرم بعض اولاد الخلفاء من الوصول الى الخلافة لان امهاتهم لم يكن عربيات . كما استوطن العرب في الاقطار المفتوحة ، وارسل الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان العيالات العربية الى خراسان ، وسكنت جاليات

عربية في معظم البلاد التي كانت ضمن الامبراطورية الفارسية، وساد العرب على غير العرب وانتشرت اللغة العربية بينهم كما نقل الامويون الدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية كما ضربوا النقود العربية . ولكن العصبية القبلية ما لبثت ان نشطت في مجموعتين كبيرتين : عرب الشمال (القيسيون) وعرب الجنوب (اليمانيون) . وربما كان لسياسة بعض الخلفاء الامويين دور في اذكاء الخلاف بين الفريقين وكان ذلك من اسباب ضعف الامويين وانهيار دولتهم.

ورغم ان العرب لم يفقدوا نفوذهم السياسي والاداري في العصر العباسي الاول ، الا ان عناصر اخرى شاركتهم في الحكم وخاصة الموالي واظهر العرب نوعا من التساهل في مسألة العنصر ولذلك فقد صرنا نشاهد في هذه الفترة الخلفاء العباسيين يتخذون نساء غير عربيات من اصل فارسي وتركي او رومي وان كان هذا قد بدأ في الواقع في اواخر العصر الاموي حيث كان كل من الخليفة يزيد الثالث وابراهيم ومروان الثاني من امهات غير عربيات . ولكن الخلفاء من الناحية الاخرى نظروا الى العناصر المختلفة في المجتمع العربي الاسلامي آنذاك نظرة تعتمد على مدى اخلاصها وولائها للخلافة فكان التنكيل جزاء كل من سولت له نفسه ان يقف بوجه الدولة او يتحرك ضدها .

على ان اشتراك العناصر الاجنبية في الحكم مع العرب خلال العصر العباسي ادى الى التناقض بينهما فكثر التفاخر بين العرب والموالي واخذ الفريقان يتباريان في تفضيل احدهما على الاخر، حتى نشأ نتيجة لذلك ما يسمى ب (الشعوبية)كرد فعل من جانب الاعاجم ضد العرب . وقد تصدى لهم كثير من كتاب العرب وعلمائهم كالجاحظ وابن قتيبة وردوا عليهم وفندوا حججهم.

كما تميز هذا العصر باتجاه العرب الى امور اخرى غير الامور السياسية والادارية مثل الامور العلمية وشؤون التجارة والزراعة والصناعة بعد ان كانوا يترفعون عنها .ولكن العباسيين وال البيت عامة كانوا يعتبرون ارفع الناس مكانة وقدرا وكان يطلق عليهم الاشراف. وكان للعباسيين والعلويين نقيب من كبار رجال بني هاشم يعينه الخليفة ثم صار بعد ذلك لكل فريق منهم نقيب خاص ،وكان الرجل منهم يخاطب بالشريف .وفي عام ٢٠٩هـ/٨٢٤م كان عدد العباسيين ثلاثة وثلاثين الفا. اما الطالبيون فكانوا الفين وسبعمائة فقط. وكان الذي يتولى الحج في الناس كل عام امير من الهاشميين اما عباسيا او علويا، كما كانت تسند للهاشميين ايضا امامة المساجد الجامعة ايام الجمع والاعياد وكان يجري على الهاشميين راتب خاص .

٢– الموالي:

وهم المسلمون من غير العرب الذين دخلوا الاسلام بعد انتشاره واتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية وقد ظهر منهم كثير من العلماء والمحدثين والفقهاء ولكن اكثرهم ولد في بلاد عربية ونشأ نشأة عربية وحذق في اللغة العربية وآدابها اكثر من معرفته بلغته الاصلية ، ولهذا فمن الصعب ان نستعمل الاساس العنصري بالنسبة لهم بل يجب ان نصنفهم بحسب بيئتهم وثقافتهم لا بحسب جنسهم واصلهم.

وقد ظهر بينهم وبين العرب بعض التناحر وخاصة في العصر الاموي، ولو ان الامويين استخدموا في اواخر ايامهم الموالي في الوظائف الادارية، كما حاول بعض الخلفاء ان يخففوا عنهم بعض الاعباء الاجتماعية والاقتصادية كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز على سبيل المثال . وقد نبغ منهم الكثير في العصر العباسي خاصة بالعلوم والآداب، وسكنوا الامصار العربية كالكوفة والبصرة والفسطاط والمدينة وبغداد ودمشق . ولعل نبوغ الموالي في العلوم يعود الى انهم انصرفوا في الفترة المبكرة من عمر الدولة العربية الى النواحي الثقافية بينما كان العرب منشغلين بالسياسة والحرب .

٣ – اهل الذمة:

" يراد بأهل الذمة اليهود والمسيحيون الذين عاهدهم المسلمون، ولذا يطلق عليهم المعاهدون" وقد تمتعوا بنوع من الحرية والتسامح الديني حيث مارسوا طقوسهم الدينية وخضعوا في امورهم الشخصية الى رؤسائهم الروحانيين وقد عاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم معاملة حسنة فجعل مثلا دية المعاهد كدية المسلم وكان كل ذمي يدفع الجزية مقدارها دينار واحدا في السنة.

اما في عصر الخلفاء الراشدين فقد قسمهم الخليفة عمر بن الحطاب رضي الله عنه الى ثلاث طبقات فكان الغني يدفع اربع دنانير سنويا والوسط دينارين والفقير دينارا واحدا .

وقد شغل اهل الذمة في العصر الاموي وخاصة المسيحيون منهم مناصب مالية مهمة فيما عدا فترة خلافة عمر بن عبد العزيز الذي اصدر اوامره بالاستغناء عن اهل الذمة في الوظائف .وقد ابدى المسلمون تسامحا تجاه المجوس ووثنيو حران والبوذيين وعاملوهم معاملة اهل الذمة.

وقد استمر اهل الذمة يدفعون الجزية في العصر العباسي كما كانت في العصر الاموي وكانت تدفع بشكل اقساط ويعطون وصلا مختوما بالمبلغ المدفوع يطلق عليه اسم (براءة) وقد امتهنوا في هذا العصر الصيرفة والجهبذه ومارسوا الاعمال التجارية والكتابة والطب، وقد أنشئ ديوان خاص للنظر في امورهم هو ديوان الجوالي ،يتولاه رجل من المسلمين ، وكان يطلق على رئيس المسيخين اسم (الجاثليق)، اما رئيس اليهود فكان يسمى (رأس الجالوت). على ان اهل الذمة تعرضوا في فترات قليلة جدا الى نوع من القيود ، كتحديد نوع ملابسهم او الاستغناء عن خدماتهم في دواوين الدولة ، وكان ذلك استثناء وليس قاعدة وقد فرضته في كثير من الاحيان الظروف السياسية وموقف اهل الذمة منها بصورة خاصة .

٤ – الرقيق:

لقد كان الرق معروفا قبل الاسلام وقد عرفته الحضارات القديمة ومارسه الفرس والروم. وكان مصدره الاسر في الحروب او الشراء .ولما حرر العرب البلاد التي فتحوها من سيطرة الفرس والروم تحول معظم الارقاء باعتناقهم الدين الجديد الى الحرية او اصبح معاهدا اذا ما قرر الاحتفاظ بدينه.

وقد بدأ عدد الرقيق من اسرى الحرب بالازدياد في زمن الامويين بسبب ما جلبته حروب التحرير العربية من الاسرى. وقد كان الولاة والقواد يرسلون بخمس هؤلاء الى الخليفة ويوزعون الاربعة اخماس الباقية على الجند. ولم يكن مصدر الرقيق من الحرب فقط بل كان يباع بصور اعتيادية في اسواق النخاسة التي كانت منتشرة في بعض المدن، وكان هؤلاء يستخدمون في الزراعة والحرف الاخرى والخدمة في البيوت.

وقد دعا الاسلام الى الغاء الرق ولكن بصورة تدريجية اذ خفف منه وحث على تحريره وحسن معاملته كما جاء في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجعل تحرير الرقاب كفارة للذنوب كما كان البعض يعتق عبيده كرما او لقاء مبلغ من المال ويكون بعقد مكتوب او بصورة شفوية ويشهد عليه رجلان او قد يمنح العبد حريته ان هو ادى شروطا متفق عليها او بموت مالك العبد. ويجوز للرجل ان يوصي لعبده بثلث ماله.

وقد جاء في الحديث الشريف "**اخوانكم.....جعلهم الله تحت ايدكم . فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم وان كلفتموهم فأعينوهم** ".

وكانت هناك مع ذلك بعض الحدود الاجتماعية على الرقيق حيث كان عليهم ان يجعلوا في اعناقهم اختاما، ولا يحق لهم الزواج بأكثر من اثنتين ، والطلاق عنهم طلقتان وعدة الامة شهرين، ومع ان بعض الفقهاء عارضوا في قبول شهادة العبيد ، فان واقع الحياة الاجتماعية وروح الاسلام اقرت قبولها فعلا، فكان القضاة يسلمون بصحتها ومنهم شريح الكندي، واياس بن معاوية . وقد هاجم ابن حزم بشدة محرمي شهادة العبيد بقولهم ، انهم سلعة فكيف تشهد السلعة ، فقال : وتشهد السلعة كما يلزم السلعة الصلاة والصيام والقول بالحق .

وكان الرقيق يجلب من جنوب مصر وجنوب الجزيرة العربية وشمال افريقيا ، وكان هذا هو الرقيق الاسود. اما الرقيق الابيض فكان يجلب من بلاد الترك وارمينيا وبلاد الروم، كما كان مصدر الصقالبة من روسيا وصربيا واطراف نهر الفولغا، وكان اغلب تجار الرقيق من اليهود .

ولما كان المجتمع العربي يعنى بالشعر والموسيقى، فقد عظمت قيمة القيان والجواري الموهوبات . فقد كان للمشهورات من حذاق المغنيات اثمان عالية ، ففي عام ٣٢٥هـ/٩٣٦ماشترى ابن رائق جارية موصوفة بحسن الغناء بثلاثة عشر الف دينار، واعطى من دله عليها الف دينار. وكان ارقى العبيد مكانة حملة السلاح منهم ، فظهر منهم القواد الكبار امثال مؤنس وجوهر ، واحكام امثال كافور وكان في بعض المدن اسواق للرقيق يوكل الاشراف عليها لعامل خاص بها .

اما اذا اردنا ان نقسم المجتمع على اساس الوظائف فيمكن ان نلاحظ الطبقات التالية:

١ – طبقة الحكام: وهم الخليفة والامراء والوزراء والولاة ، اي رجال الحكم في الدولة.

٢ – طبقة رجال الدين : وتضم الفقهاء والقضاة والخطباء والقراء ،ولم يظهر لهذه الطبقة مظهر كهنوتي، ذلك لان الاسلام لا يعترف بذلك على العكس مما هو موجود في الديانة المسيحية ولان هذه الطبقة ظهرت نتيجة لحاجة لمسلمين للقيام بشؤون دينهم.

٣– طبقة ارباب السيوف: وهم القادة والجند ، وكانوا في البداية جلهم من العرب ، ولكن بعد اسلام سكان البلاد المفتوحة دخل هؤلاء في الجيش بصورة تدريجية واصبح لهم مكانة خاصة تمتعوا بنتيجتها بامتيازات

معينة كركوب لخيل بينما الاخرون كانوا يركبون الحمير. وكانت امتيازات هذه الطبقة ونفوذها يزدادان كلما ضعفت الطبقة الحاكمة وكثيرا ما سيطرت على الحكم .

٤ – طبقة ارباب الاقلام : وهمكما يدل على ذلك اسمهم الذين يعتمدون على صناعة الكتابة ولذلك كان يطلق عليهم الكتاب وكان معظم افراد هذه الطبقة في بادئ الامر من الموالي واهل الذمة وكانوا يشتغلون في دواوين الدولة ويستخدمون لغاتهم الاصلية كالفارسية واليونانية والقبطية حتى تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد.

٥ – طبقة ذوي المهن من سكان المدن :وهم اصحاب الحرف والتجار وكانوا يسكنون المدن كما ان معظمهم كان من سكان البلاد المفتوحة ذلك لان العرب اول الامر كانوا يشتغلون بالحرب والسياسة ولأنهم كانوا منذ البداية وبطبيعتهم يأنفون من المهن والصنايع ولكن استقرارهم في المدن وتطور الحياة المدنية في الامصار ادى الى ممارسة العرب للمهن وخاصة التجارة.

٦ – طبقة الفلاحين والزراع : وهم يكونون الغالبية من سكان البلاد المفتوحة وكان افراد هذه الطبقة يسكنون القرى وكانت حالتهم الاجتماعية سيئة ذلك لان اغلبهم كانوا يعملون بالأجرة او السخرة . وفي العصر العباسي ظهرت طبقة من كبار ا لمزارعين نتيجة لظهور نظام الالتزام او القبالة بتأجير مقاطعة كبيرة من الارض لمدة معينة لشخص معين يسمى متقبل او ضامن او ملتزم .

٧ – طبقة الرقيق : وقد مر ذكرها فيما سبق.

المصادر والمراجع المستخدمة

١– الماوردي ، الاحكام السلطانية
٢– ابن يعلى الاحكام السلطانية
٣– ابن ابي الدم ، ادب القضاء
٤– الطقطقي ، الاداب السلطانية
٥– الماوردي ، نصيحة الملوك
٦– الطبري ، تاريخ الرسل والملوك
٧– ابن الاثير ، الكامل في التاريخ

٨- المسعودي ، مروج الذهب
٩- مسكويه ، تجارب الامم
١٠- عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية
١١- فاروق عمر فوزي ، النظم الاسلامية
١٢- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام
١٣- صبحي الصالح ، النظم الاسلامية
١٤- شحاذه الناطور ، النظم الاسلامية